مَدْرَسَتِي الأُولَى – ذكريات وحنين لأيّام المدرسة

قد لا يدرك المرء غالبا قيمة الشيء إلاّ بعد فواته. وهذا الرجل يتحدث عن فضل مدرسته عليه، بعد أن فارقها.

كم يختلج صدري عندما أتذكّر المدرسة، و الرفاق الذين صرفت أكثر أيامي معهم مقاعد الدراسة و في ساحة اللعب و النزهات.

فالمدرسة هي طفولتي، و مهدُ طُهري و صباي، و عهدُ مرحي و فرحي، و مسرحُ أحلامي و أفكاري. فإذا ما سرت الآن في طرقاتها وجدت أثرا من ذاتي القديمة، و تمثّل لي خيال رفيق أحببته و صديق عاشرتهُ. و صرتُ كلما اجتزت مكانا منها أقول : " في هذا المكان مررت، و مع رفاقي على هذه التلّة جلست ، هنا تسلّقنا شجرة التّوت لنقطف ثمارها، ففاجأنا المعلم بتأنيبه، و على هذه الصخرة، و تحت ظلال تلك السنديانة جلسنا يوم كنّا في الثانية عشرة، نتغنى بأشعار حفظناها، فنردّدها فرحين معجبين !"

تلك الذكريات جميلة حلوة لن أنساها مهما طالت الأيام، و تكرّرت الأعوام.

إنّي نقمتُ على المدرسة يوم كنت داخلها، فكرهت فيها أحسن الأشياء لأني كنت أجهل حقائقها و مكنوناتها. ثم تركتها، فأحببت فيها كل الأشياء حتى أبسطها، و أكبرتُ شأنها، لأنها وضعت في يدي سلاحا أحارب به مصائب الحياة.

فالجرس الذي كانت أذناي تتخدّش لسماعه، أصبح صوته عندي أحسن من أي لحن موسيقي، و المقعد الذي كنت أدعو عليه بالكسر، صرت أودّ لو يَقوَى و يعمِّر!

www.madrassatii.com

يا أيها التلميذ العزيز، ستعلم مثلي ما لمدرستك عليك من فضل لكن بعد أن تفارقها و تدخل معترك الحياة. و يا ليتك تدرك اليوم ما ستدركه غدا، فتضاعفت جهودك حتى تكون في مستقبل أيامك رجلا نافعا لأمتك ووطنك.

ادمون صوايا
(بتصرف)

الشرح :

1) كم يختلج صدري : اختلج الصدر: اضطرب و تحرك. و هنا يخفق قلب الكاتب حين يتذكر أيام دراسته من شدة الحنين إليها.
2) اجتاز المكان : مرّ به، قطعه.
3) التأنيب : التوبيخ، و في النص توبيخ المعلم للتلاميذ يَرْقَون (يصعدون) شجرة التّوت
4) أجهل حقائقها و مكنوناتها (المخفيّ منها) : كان الكاتب يكره الجرس و المقعد و هما من أشياء المدرسة لأن منافعها خفيت عنه. المكنون من الشيء : الخفي فيه و المستتر.
5) تتخدّش الآذان لسماعه : تتأذى و تتألم من سماعه.

www.madrassatii.com